السّـــحر والشـــعوذة وآثارهما النفسية والاجتماعيـــة على الفـــرد والأســـرة ودور الخدمة الاجتماعيـــة في التعامل معهما

د. آمـــال ســـالم غـــبار ــ كلية الآداب ـ جامعة طرابلس

مُقدّمَـــــة :

بـــرزت منذ فترة ليست بالقصيرة بعض الأفعال والسلوكيات الاجتماعية في المجتمع الليبي متمثلة في ممارسة السحر والشعوذة ، التي نهى عنها الإسلام ، وحارب من يقوم بها ، لما لها من آثار نفسية واجتماعية علـــى الفرد والأســـرة.

والسحر والعين ينتج عنهما مشاكل اجتماعية ونفسية ، وهما حقيقة موجودة ، ذكرتا في كتاب الله - عز وجل - في العديد من المواضع ، (1).

وأعمال الشعوذة والسحر تتمثل في: قـــراءة الكف ، والفنجان ، والضرب على الرمل ، والفأل ، والتكهن بالغيبيات ، حتى وصلت إلى مستوى تحولت فيها إلى ظـــاهرة تستحق المعالجة ، فقد كانت على المستوى الفـــردي ، ولكنها تعدت ذلك لتصل إلى مستوى أشخاص ذوي علم ونفوذ وسلطة .

وعامة الناس من يفقد ثقته في ذاته أو لم يحقق طموحاته أو لشعور بالغيرة والكراهية والحقد يلجأ للسحرة المشعوذين ، حتى باتت داءً ينتشر بين فئات من أفراد المجتمع بمختلف الأعمار وطبقاتهم الاجتماعية، وقد تعدت هذه الظاهرة حدود البلاد فأخذ يقطع أصحابها الحدود والمسافات ، ويطلبون العرافين وأصحاب الأعمال السحرية الاحترافية ، وينفقون مقابل ذلك الأموال الطائلة , وقد يستدين ليصل إلى أولئك السحرة والمشعوذين والعرافين ؛ بل وتوجد بعض القنوات الإعلامية تسهم في نشر مثل هذه المعتقدات لمعرفة ما قد يحدث مستقبلا مما يعد مـؤشرا خطيرا في البعد عن تعاليم الله ، وقد أسهم الاعلام في تناول هذه الممارسات في العديد من الأفـــلام منها : فليم التعويذة ، وكذلك المسلسلات منها على سبيل المثال مسلسل الزئبق الأحمر، وطاقة نور.

ولأنه قـــد تجاوز هذا الـــداء الخطير كل الممنوعات ، والمحرمات ، فيجب مكافحته بكل الطرق والوسائل .

مشـــكلة البحث :

من خـــلال ملاحظتي ، وتتبعي لهذه الظاهرة ، ومقابلة بعض الأفـــراد الذيـــن وقعوا ضحية المشعوذين والسحرة ، ســـواء من التجأ إليهم من أجـــل السحر، أو من

أجل العلاج من السحر ، وما سبّبت هذه الظاهرة من أضـــرار على مستوى الفرد والأسرة وتفكك في النسيج الاجتماعي ، وأضرارها قد تمتد إلى أن تودّي في بعض الأحيان للانتحار بطرق مختلفة وبناء عليه كانت التساؤلات التالية :

تساؤلات البحث :

تحاول هذه الورقة الإجابة عن التساؤلات التالية :

- ما حقيقة السحر وما أنواعه؟ وما أعراضه؟
- ماهي الاثار النفسية والاجتماعية للسحر على الفرد والاسرة في المجتمع الليبي؟

أهميـــــة البحث :

من خـــــلال ممارستي لدوري المهني لاحظت انتشار هذه الظاهرة على المستوى الجامعي ، مما دعت الضرورة البحث في هـــذه الظاهرة .

أهـــداف البحث :

1- التعرف على السحر وأنواعه ، وأعراضه.

2- التعرف على الآثار النفسية والاجتماعية للسحر على الفرد والأسرة.

وبالتالي فإن الورقة العلمية ترتكز على بعدين وهما:

1- البعد النظـــري الذي يتناول السحر ومكوناته وأنواعه ، والتفكير الخرافـــي كباعث للممارسة السحر ، والآثار النفسية والاجتماعية للفرد والأسرة.

2- البعد المعياري والذي يتمثل في دراســـة حالة ذات علاقة بموضوع الدراســـة.

وبناء على ما سبق فإن الدراسة ترتكز على معرفة الآثار النفسية والاجتماعية على الفرد والأسرة الناتجة من السحر والشعوذة في المجتمع الليبي . دور الخدمـــة الاجتماعية في التعامل معها من خلال دراســـة الحالة ومعالجتها .

مصطلحات البحث :

المعالـــج : هو من يقدم العلاج للحالة سواء كان سحرا أو عيناً.

الســـــابقة :

وبناء عليه فقد قمت بالاطـــلاع على البحوث والدراسات لتحديد مـــدى انتشار هذه الظاهرة في المجتمعات العربية ، فقد أجريت في الدول العربية العديد من الدراسات منها :

1- **دراســـــة :** ظـــاهرة الســـحر وآثارها في المجتمع الكويتي ، وتوصلت الدراســـة الى أن الاعتقاد بالسحر وممارسته منتشر بشكل واسع لعدة أسباب منها :

مهنة مربحة لمن يمارسه ويستخف بعقول الناس ومعتقداتهم ، كما خلصت الدراسة إلى أن من أصيب بالسحر أو المس هو نتيجة لسحر عمل له من عدو له ، بالإضافة إلى اعتقادهم أن السحر وسيلة علاجية للعديد من الأمراض.

2- **دراسة** : ميكروسوسيولوجيا الجريمة من خلال الممارسات السحرية والشعوذة أجريت في الشارقة ، وتبحث هذه الدراسة في علاقة الجريمة بالسحر والشعوذة ، حيث كشفت نتائج التحليل الاحصائي أن حجم انتشار ظاهرة السحر والشعوذة في إمارة الشارقة تتراوح بين 2.3% ، 15.84 % سواء كانت ذلك بالنسبة للمبحوثين ممن يترددون بأنفسهم على السحرة أو ممن يعرفونهم من أسرهم ، أو أصدقائهم .

3- **دراسة** : القتل بالسحر، أجريت في الأردن ، وقد توصّل الباحث من خلالها إلى أن السحر موجود بالقرآن ، والسنة ، والاجماع، وأنه وسيلة تستخدم في القتل والتفكيك الاجتماعي ، وأّكدتْ حرمة تعلم السحر ، وحرمة تعليمية ، ولا يجوز حل السحر بالسحر(2).

4- **دراسة** : الاعياء والانفعالات المصاحبة له في طقوس الزار بولاية الخرطوم بالسودان وعلاقتها بالترويح النفسي ، أجريت في السودان ، وخلصت الدراسة إلى أن الانفعال في الزار هو من نوع الانفعالات التي قد تزّود الممارسة بدوافع ورغبات تدفعها لمواصلة الرقص ، وهي ذات قيمة تعبيرية في ربطها بين الممارسات ، إنها شحنة انفعالية تزود الممارس لها بدوافع ورغبات للتجاوب والتفاعل مع الجو الصاخب ، ومن جانب آخر فإن تلك الانفعالات تضعف إرادته وقوته النقدية ، وتساعد على تفكيك المعلومات مما يجعلها عرضة للخضوع لإيحاءات المعالج(3).

محاور البحث

المحور الأول ـ حقيقة السحر وأنواعه ، وأعراضه :

السحر ومكوناته وأنواعه(5):

من تعاريف السحر أنه :" عمل يتقرب فيه الساحر إلى الشيطان بمعونة منه . كما يعرف السحر بأنه :" عقد تؤثر في القلوب والأبدان" ، أو هو عبارة عن :" مجموعة من الأساليب تستخدم للتأثير على القوى الطبيعية ، أو الخارقة للطبيعة عن طريق أداء بعض الممارسات الشعائرية التي يعتقد بأنها تؤدي الى النتائج المرغوبة ".

والإنسان أحيانا إذا أصابه مس من الشيطان تضعف قــواه ، وتغلب عليه السوداوية ، والتشاؤم ، والكآبة ، ويكاد يخــرج من جلده نتيجة للضغط النفسي الذي يحدثه الشيطان على ابن آدم .

والهدف الأكبر للسحرة - الذين يتعاونون مع الشياطين - إفساد العلاقات الاجتماعية ، وخاصة العلاقة بين الزوجين.

ويعتبر السحر من المعتقدات والممارسات المعقدة التي تهتم بها المجتمعات القبلية التي تتميز بالبساطة والحياة البدائية، فالسحر والشعوذة منتشرة ومتواجدة بين أقوام الأمبررو ، و الزاندي في جنوب السودان.

والسحر في مجتمعات بدائية تقليدية يكون أكثر تنظيما ، فيشغل السحرة مراكز محددة ، ويقومون بأدوار متخصصة ، ويلعب الساحر دورا لا يختلف عن دور الطبيب ، وأما في المجتمع الحديث فهو جزء من نســق منظم .

ـ أنـــــواع الســـحر(6) :

السحــر وممارسته يعد فنا حيث يستخدم فيه طقوسا متعددة لغرض السيطرة على بعض الأحداث ، والتحكم في بعض القوى الطبيعية أو الروحية ، والدليل على ذلك قول الله سبحانه : (**وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ فلما جاء السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحر إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ**)[سورة يونس79، 82] ، فالسحر حقيقة ثابتة وواقعة ، لا مجال للشك فيها أو إنكارها، ولا ريب - أيضاً - أن السحر ليس نوعاً واحداً أو شكلاً واحداً ، فهو يتخذ أشكالاً عديدة . وفيما يلي نحاول تسليط الضوء على أهــم أشكاله ، وهي(4):

1- **ســحـــر التفريـــق** : وهو قيام الساحر بالتفريق بين الزوج وزوجه ، أو الأب وابنه، أو الأخ وأخيه أو نحو ذلك ، هذا ســحر التفريق مما يؤدّى إلى الشقاق والكراهية ، وعدم الثقة لأسباب لا معنى لها فتنعكس سلبا على النسيج الاجتماعي للأسرة ، فلا تتقبله الأسرة ، وتتحول أفعاله السلوكية إلى ضيق في صدورهم ، وكراهيتهم له ، وإن آية عمل يقوم به هو غير مرغــوب فيه ، ولا ينال الترحيب منهم ، وهذا الأمــر يتمدد تلقائيا نتيجة لذلك إلى المحيط الاجتماعي بالتهجين لكل أفعاله ، وأنه شخص عاق لأسرته ، وبالتالي لا يعامل باحترام ، ولا يستحق في نظر مجتمعه الاحترام والتقدير مما ينعكس بالنفور الاجتماعي ، وبالتالي يدخل في حالات نفسية منها : الاغتراب النفسي ، وبالتالي يفضل الانسحاب والابتعاد قدر الإمكان ليجد الاحترام في مكان ومجتمع آخــر.

2- **ســـــحر الربـــط** : وهو قيام الساحر بأعمال خبيثة عن طريق الاستعانة بالشياطين والجن - وذلك في كل أنواع السحر - بحيث يتمركز الجني ويستقر في مخ الرجل (وبالتحديد نقطة الإثارة الجنسية) بحيث يجعل الرجل القوي ينكمش عن مباشرة زوجته بمجردة الملامسة ، ويحدث الربط للرجل عن زوجته فيعجز ، ويحدث - أيضا - للمرأة عن زوجها مع بقاء قدرة الزوج لكنها تمنعه ، أو يجد سداً دونها ، وهذا النوع من السحر من أخطر الأنواع لما ينتج عنه من فساد الأسرة، وفشل الحياة الزوجية ، والنفور بين الزوجين ، والفراق في النهاية ، والعداوة، وتشريد الأولاد وغير ذلك كنتيجة للفتور العاطفي بين الزوجين.

3- التســـليط : يعد شكل من أشكال السحر والشعوذة ، والتي قد تؤدي إلى الموت ، إذ يستخدم الساحر التسليط بعدة طرق، وذلك من خلال استخدام الجان من خلال حجر أو مسامير ، أو من خلال القطط والكلاب ... أو من خـلال حبس الجان في قارورة حيث يتم التعامل مع القريـــن في شكل وســـواس بتوهم من وقع عليه سحر التسليط بسماعه أشياء مما يـــزرع فيه الشك تجاه أفراد أسرته ، أو أصدقائه ، وهذا الوسواس يكاد يكون ذاته ممن يعانون من أمراض الوسواس القهري أو ممن يتناولون حبوب الهلوسة... ، إلا أن هذا التسليط يكون درجات منه ما قد يؤدي إلى الموت انتحارا، وهذا السحر هو من يحدد كيفية الانتحار ، إما بالشنق ، أو بتناول السموم، أو من خلال السقوط من الأعلى .

4- ســـــحر التصفيـــــح : وهو نوع من أنواع السحر الذي كان يمارسه اليهود في المغرب العربي ، وسحر التصفيح تترتب عليه مشاكل لا حصر لها ، تعود أسبابه إلى أن استخدام هدا النوع الذي كان يمارس كمعتقد إلى أن أدرك المجتمع مخاطره ، فالتصفيح عمل تقوم به النساء للحفاظ على عذرية الفتاة ، حتى إذا ما ما رست الجنس مع أيّ كان فإنه يستحيل عليه فضّ بكارتها ، فالأمّ تخاف على ابنتها من فقـــدان عذريتها ؛ لأنها شرط أساسي لإتمام زواجها فتعمد إلى تصفيحها، وعليه فإن التصفيح ظاهـــرة قديمة في المجتمع الليبي خاصة والمغرب العربي عامة ، وما فهمناه من هذه العملية السحرية أن التصفيح ليس بسحر ضار من طـــرف أحد الأعداء ، مثل سحر التعطيل بقدر ما هو سحر دفاعـــي تقوم به الأمّ التي تخاف على شرف ابنتها.

ـ أنـــواع الســـــحر التي يستخدمها الســـــحرة (8):

وهنا يستخدم السحرة عــدة طرق لسحر من أرادوا أذاه والنيل منه ، وهـــذه الطرق ، تكون حسب طبيعة المسحور ، فالسحر تختلف طريقة وضعه للمسحور ، ومن تلك الطرق .

1- **السحر المأكول والمشروب** ، أي : ما يجعل مع الطعام والشراب ، وهو أشد أنواع السحر تأثيراً على المسحور .

2- **المشموم** : ما يخلط في الطيب أو يعمل من الطيب والبخور ، ويعتبر - أيضاً - من أخطر أنواع السحر .

3- **المعقود** : كل ما يمكن عقده والنفث عليه .

4- **الأثـر** : ما يؤخذ من أثر المسحور ويعمل منه السحر .

5- **المنثور** : كل مسحوق ينفث عليه الساحر وينثر في الغرف وعند مداخل البيوت.

6- **المرشوش** : كل سائل ينفث عليه الساحر ويرش على الثياب أو عند عتب الأبواب أو في الأماكن التي غالبا ما يتواجد بها المراد سحره .

7- **الطـــلاسم** : وهي أسماء وكلمات وحروف وأرقام ومربعات مجهولة المعنى ؛ لكن السحرة يعرفونها جيداً .

8- **المرصود** : يرصد لطلوع نجم أو قمر ، وما يترتب عليه من هيجان البحر والدم .

ـ أعـــراض الســـــحر :

وأعراض السحر : المرض ، وألم دائـــم في أحد الأعضاء ، أو حالات صرع وتشنجات ، أو شلل جزئي أو كلي ، أو تعطل وتوقف لبعض الحواس.

وهـــذه الأعراض مشابهة لحالات المرض العضوي الطبيعي ، ويمكن التفريق بين أمراض السحر ، وأمراض الجسم الطبيعية بقراءة الرقية، والآيات المبطلة للسحر، فإن شعر المريض أثناء القـــراءة (بدوخـــة) دوار ، أو تخدير ، أو صداع، أو اضطراب ورجفة في أطرافـــه ، أو أي تغير في جسده ، فالمرض ناتج عن سحر، أو حسد ، أو عين ، وإن لم يحصل شيء من التغيرات الجسدية والعضوية ، فالمرض عضوي يعالجه الأطباء في المستشفيات والعيادات المتخصصة .

ـ التفكير الخرافـــي كباعث لممارسة الســـــحر(10):

التفكير الخـــرافي كـــون ثقافة الخـــوف من بعض الظـــواهر على أنها قوى غيبية أو لعنة بناء على ما ورد من الأجداد ، والتي منها الظواهـــر الطبيعية وانتشار الأمراض وغيرها، حتى ممارسة الطب قديما في المجتمعات البدائية كان على أساس الجمع بين

الملاحظات العارضة في الحياة اليومية والسحر على أسس غيبية ، فهو نمط من التفكير واسع بين كثير من فئات المجتمع ، فالتفكير في السحر بأنه جـــزء من نمط الحياة يرجع لبساطة الناس آنذاك وارجاع الأمور إلى الغيبيات ، فالتفكير الخرافي للأمور يقوم على الفهم الخاطئ لعلية أو للأسباب الكامنة وراء ظهور الشيء أو ممارسته للطقوس معينه فمثلا نجد في كتاب: الدين والطقوس والتغيرات للكاتب نور الدين طوالبي إذا يتناول في كتابه الطقوس البدعية في المجتمع الجـزائري موضحا بأن هناك طقوس تسمّى بـ :(الوعـــدة) ، أو (النشـــرة) ، أو(الزردة) ؛ إذ تمارس في شكل احتفال جماعيا يشترك فيه عدد من الأشخاص ، فالمسمى الأول وهي الوعـــدة تعني : في اللغة تعد بالشيء ما أو ما يمكن أن نسميه بالنذر ، إلا أنها في بعض المجتمعات تأخذ أبعاد شركيه نوعا ما مع ذكر أسم الله إلا أنه ممارستها تتم في أماكن تواجد الجن للنزول ، وتلبية الحاجات بأن تقام صلوات وتبخيرات وتضحيات ، وهي مراحل لامتلاء وتستمر لثلاث أيام وتبدأ يوم الثلاثاء إلى الخميس أو الأربعاء لتنتهي يوم الأحد ، وتمتثل هذه الأيام المفضلة لتلبية الحاجات تبدأ بأول يوم بتقديم الأضحية " الكبش" ، وفي اليوم الثاني يتم نحـــر ستة خراف إلى عشرة مقابل كل جني يتم ذكره في الاحتفال ، أما بعد الظهر فيكرس للديوان يليه وليمه عامـــرة ، أما اليوم الثالث فيشهد ذروة الاحتفال الخاص إكراما للجن الذين لا يقارن خصوصية ، ولا يشترك في هذا الاحتفال إلا النساء الأكثر شبابا ، وينتهي الحفل بوليمة .

والتسمية الثانية (النشـــرة) لها أبعاد تتمثل في التطهير والشفاء وغيرها .

أما التسمية الأخـــيرة (الزردة) عبارة عن ممارسات دينية ، وتستعمل للدلالة على نوعية الفعل في التعييد الذي يلي حدثا سعيدا كنجاح ، أو شفاء، أو عودة من الحـــج ، تأخذ قيمة دينية ؛ لأن الناس يتصورونها على أنها إكراما للولي خاصة لذا قبيلة جزائرية تســـمّى بأولاد سيدي الشيخ حيث تقوم العائلات بزيارات الأضرحة والطواف عليها ، وهو يعد من الموروث الثقافي عندهم .

المحور الثاني ـ الآثار النفسية والاجتماعية للسحر:

في خضمِّ الدراسات الاجتماعيّة التي تقوم بها مراكـــز الدراسات والبحوث الاجتماعية في ليبيا، والمختصّة برصد المظاهر الاجتماعيّة السلبيّة ، وفهم بواعثِها وسُبُل مواجهتها، يغيب البُعد العقدي ، والتتبّع الاستقصائي لأثرِ السحرِ ممارسةً وتطبيقاً، وما ينتجُ عنه من تداعياتٍ خطيرةٍ تؤثّر في النسيج الاجتماعي، ليس على مستوى الذات فحسب، ولا على الأسرة كذلك، بل على المجتمع بأسْرِه.

ولهذا لا يمكن التغاضي عن ظاهرةٍ لما لها من آثار قوية على الفرد والأسرة والمجتمع والتي تتمثل في السحر، فالدراسات الاجتماعيّةُ قلّما تلتفت إلى مرجعية فكرية، تكون موجهة لمسارها، ومتحكمة بنتائجها، ولربما كان السبب في إغفال الحديث عن السحر نظراً لتعلّقِه بالأمور الغيبيّة، ومهما يكن ذلك فأثر السحرِ من الوضوح بحيث لا يمكن إغفالُه أو التغاضي عنه، ولو استخدمنا الأدوات المهنيّة التي يتعامل بها الباحثون الاجتماعيّون من طرائق المسحِ الجغرافي والاستبيانات ، وعلم الإحصاء والمقارنات لوجدنا كل الأسهم والدلائل تتفق مع القولِ بأن وجود السحر في مجتمعٍ ما يتناسب عكسيّاً مع استقرارِه وصحّتِه من الناحية الاجتماعيّة، وبقدرِ ما تزدهرُ سوق السحرةِ في مجتمعٍ ما، بقدرِ ما نرى انتشاراً للأمراض الاجتماعيّة التي نسعى لحلّها والتخلّصِ من آثارها. ولعلّ طرح موضوع السحرِ من هذه الزاوية يسهمُ بشكلٍ أو بـآخر في محاولةٌ أوليّةٌ لرصد آثار تلك المشكلة على مجتمعاتنا، (13) ، والتي منها:

ـ السحر والعنف الأســـري :

إذا كانت الأســـرة المؤسسة الاجتماعية التي تسهم في بناء المجتمع، والتي تمثّل بطبعها: المأوى الدافئ، والملجأ الآمـــن، والمدرسة الأولى، ومركز الحب والسكينة، وساحة الهدوء والطمأنينة ، فكيف إذا غابت هذه المعاني النبيلة ، وحدث الأذى هو سيّدُ الموقف ، ولأن المسحور في بعض أنواعِه- قد لا يكون متّزناً عاطفياً وعقليّاً ونفسيّاً، وقد يتوهّمُ أموراً لا حقيقة لها، فإنه قد ينشأ من ذلك عداوات بين الزوج ، وأفراد أسرتِه قد تتطوّر إلى الاعتداء الجسدي بمختلفِ صورِه وأشكالِه، أو التهديد النفسي بما يشملُه من محاولات السيطرةِ والتهديد والتخويف ، وممارسة الاستبداد والملاحقة والمطاردة، وقد يصل إلى محاولات الانتحار لمن وقع عليهم السحر والتسليط ، ولربما اتخذ العنفُ الأسري شكلاً مغايراً ، وهو ما يُسمّى بالاعتداء السلبي، والمقصود به: سلبُ احتياجاتٍ كان من المفترض وجودُها، ومثاله : الإهمال العاطفي والاجتماعي، واشتهارُ هذا الأثرِ عند من ابتلاهم الله بالسحرِ أمرٌ لا تخطئه العين، وكذا الحديثُ عن الحرمان الاقتصادي عندما تكونُ هناك قدرةٌ لأحد أفرادِ الأسرة على الاستحواذ على الموارد المالية للعائلة نظراً للاضطرابات الحاصلة له كونه مسحوراً، والنتيجة : صرفٌ لمال أحدِ أطراف العائلة دون إذنِه أو حرمانه من كاملِ التصرّفِ فيه.

ـ الســـحر وتمزيـــق الروابط الزوجيّـــة:

من أشهرِ أنواع السحرِ وأقوها سحر التفريق ، والمقصود به : تفريق المرأة عن زوجها ، وتفريق الزوج عن زوجته عن طريق الاستعانة بالشياطين والجن، فإذا حصل

هذا الشـــرخُ بين أساس الرابطةِ الأسريّة انفرطَ عقدُها، وبسقوط الأســـرة يسقط المجتمع، والتفريق بين الزوجين كما يكون في الوساوس والشكوك التي ينسجُها الشيطان في النفوس، والتي تعد شكلا من أشكال الأمـــراض النفسية والاجتماعية فإنه يكون كذلك بممارسات السحر، والدليل على ذلك قوله – تعالى- : (**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ)** (البقرة:102)، ففي إسناد التفريق إلى السحرة ، وجعل السحر سبباً لذلك دليل على أن للسحر تأثيراً في القلوب بالحب والبغض، والجمع والفرقة، والقرب والبعد.

وتكادُ تتفقُ كلمةُ المشتغلين بالرقيةِ الشرعيّةِ أن من مظاهر سحر التفريق : عدم التماس الأعـــذار بين كلا الطرفين، والغضب الزائـــد غير المفهومِ حول أتفهِ الأسباب بين الزوجين، وطرق مسألةِ الانفصال بين الزوجين باعتبارِه الحلّ الأمثل لفض النزاعات ، وكراهية معاشرة كلا الزوجين لبعضهما البعض، وعدم استشعار الراحة النفسيّة التي تحصل عادةً عند لقاء الزوجين، والتلفّظ بالطلاق دائماً ودونما شعور، والكراهيةُ الهائلة التي يحملها أحد الطرفين تجاه الآخـــر، والتي قد تصل إلى مستوى النفور من سماعِ اسم كل واحد منهما لاسم الآخر، فضلاً عن الرؤية والمخالطة، وليستْ كلّها مظاهرُ نفسيةٌ أو وجدانيّة، فقد يرى أحد الطرفين الآخر في منظر قبيحٍ، أو على صورةِ رجل هـــرم أو امرأة عجوز، ما ينتجُ عنه تحاشي نظر أحد الزوجين للآخر وعدم إطاقة ذلك.

وما سبق من المظاهر الاجتماعيّة المذكورة في سحر التفريق لا يعني بالضرورةِ أن وجود أحدِها يستلزمُ وجود سحرِ التفريق بالضرورة ، فقد يكون أحد تلك الأعراض له مسبّباتٌ أخـــرى، لكن اجتماع تلك المظاهر مؤشرٌ قـــويٌ على وجود السحر، ما يستدعي الانتباه وســـرعة في اتخاذ العلاج.

ـ السحر والتأثير على العلاقات الاجتماعيّة : ويمكن الحديث عن ذلك من ناحيتين :

الأولـــــى : انتشار السحرةِ وكونَهم في متناول اليد يسهم في إحداثِ العداوةِ والبغضاء بين أفرادِ المجتمع ، لأن العداوات قد تفقدُ اتزان الخصومِ فتلجئَهم إلى الانتقام بالذهاب إلى السحرة والكهنةِ بقصد الإضـــرار، وبالمقابل قد يكتشفُ المسحورُ اســـمَ من سحرَه بطريقةٍ أو بأخـــرى، الأمرُ الذي يدفعهُ إلى الانتقام ممّن سحرَه ، وفي ذلك إذكاءٌ لنار العداوات والصراعات التي قد يكون لها نتائجُ دمويّـــة.

الثانيـــــة : العلاقـــات داخل الأســـرة الواحدة ، فالأشخاص الواقـــع عليهم السحر يشـــعرون بالكآبة من المصيبة التي حلّت بهم وغيّرت حياتهم ، ناهيك عن همزِ الناسِ ولمزهم ونظراتهم الجارحة للضحيّة ، ثم إن بعض أنـــواع السحرِ قد تكون من الشدّة والقوّة بحيث تدفـــعُ ربّ الأسرة إلى ترك منزله وأسرته وبيته ، فينفرطُ عقدُ الأســـــرة ويتشتّتُ جمعُها.

وبناء على ما سبق فإن الآثـــار الناتجة عن السحر ، والشعوذة على الفرد ، والمجتمع تتلخص في النحو التالي(14):

1- يعد التعاطي بالسحر والشعوذة من قبل السحرة ، ومن يركن اليهم والمشعوذين ومن يتردد عليهم أول أسباب فساد العقيدة ، حيث أن الإيمان بهذه المعتقدات يؤدي الى الاشراك بالله والانحياز الى حزب الشيطان وهذا هو الكفر البـواح .

2- إن التعامل بالسحر والشعوذة يـــزرع الفتن والعدوات بين الناس ، ويقطع صلة الأرحام.

3- إن الركون الى ممارسة أعمال السحر والشعوذة يعد سرقة واستنزاف لأموال الناس بالدجل و التدليس، وقطعا لأواصـــر المحبة والأخـــوّة الإسلامية.

4- التستر تحت أوهـــام يعلق عليها الفاشلون أصحاب العزائم الخائرة والنفوس المريضة فشلهم وهوانهم، معتقدين أنهم مسحرون لاحول لهم ولا قوة.

5- تعطيل الطاقات والقدرات التي يعلق عليها المجتمع آماله في سواعد أبنائه بسبب التردد على السحرة والمشعوذين، وما يدخلونه عليهم من أوهـــام وشك وريبة، وما يسببونه لهم منعقد وأمراض نفسية يؤدّي الى تعطيل القدرة على الإنتاج والابداع.

دراســـــة الحالـــــة :

فتاة تبلـــغ من العمر إحدى وثلاثـــين سنة (ف ، س ، ع) عندما بدأت تظهر عليها أعـــراض السحر في شكل مرض جسمي ، حيث مرضت الفتاة فجأة بمرض في الرئة أدخلها إلى العناية المشدّدة دونما ظهور أي أعـــراض تسبق وتستدعي للوصول إلى مرحلة العناية المشدد، في ذات الفترة كانت قد تعرضت الفتاة لصدمة عاطفيه تزامنا مع الحالة الصحية ، وكنتيجة لـــلآلام المشتركة الجسدية والنفسية تسببا في دخولها في حالة اكتئاب ، وفقدان وزنها ، وعدم رغبتها في القيام بالأعمال المنزلية كما أنها تضع العطور بشكل غير عادي ؛ لأنها لا تشتمها ، وبالتي لاحظت الأســـرة هذا الأمر ، خاصة بعد شفائها من مـــرض الرئة ، وخروجها من العناية الفائقة ، وبعد مضي حوالي أربعة أسابيع تصرفت ابنتهم تصرفات غير طبيعية ، وبالتالي اتجهوا إلى

علاجها عند الطب النفسي ، والذي قام بتحويلها لطبيب الأعصاب لوصف العــلاج لها ضد الاكتئاب مع الاستمرار في الجلسات العلاجية مع المعالج النفسي الذي كانت سببا في تخطي بعض الصعوبات لدى الفتاة ، وقد عمدت الأسرة إلى عـدة محاولات لتدعيم الجانب النفسي لابنتهم، منها جانب الترفيه والسفر إلى خارج البلاد إلا أن الأمر لم ينجــح ، ومع هــذا طلبت الفتاة من أسرتها الذهاب الى العُمرة لعلها تجــد ما يلملم ذاتها في بيت الله ، وتستقر نفسيتها ، وينقشع السواد الذي تشعر به بداخلها ، فتبدأ حياتها من جديد ، هناك التقت بابن عمها كان يقيم في المملكة العربية السعودية تعرفت إليه ، وفي أثناء حوارها معه أدرك بأنها تعاني بنـــوع من المس ، وذلك لرفضها لمس المصحف ، أو سماع القرآن فقــرأ عليها آيات من القرآن ، فأدركت الأسرة بأن ابنتهم تعاني من المس الناتج عن السحر ، فبدأوا رحلة العلاج من السحر والمس ، فذهبت أسرتها إلى العديد من المعالجين إلا أنها تحسنت نوعا ما مع معالج في منطقة الجبل الغربي حيث أخــبرهم من قام بسحرها يريد موتها وتشتيت أسرتها ، وأرهاقهم جميعا نفسيا ، وجسديا، واجتماعيا، عموما استعملت الفتاة عــلاج المعالج ، وبدأت تسترد عافيتها ، ووزنها ، نوعا ما، ومع استمرار علاجها النفسي بالجلسات ومضاد الاكتئاب، وفي هــذه الفترة كانت الفتاة في مرحلة إعداد رســـالة الماجستير، وكانت لدى أمها صديقة تعاني من السحر ، وقد شفيت تماما عن طريق معالج ، لهذا طلبت من صديقة أمها أن تتواصل مع المعالج ، وأن تطلب منه زيارته لمنزلهم .

إن الحسد والحقد ضد أسرة الفتاة استهدف فردا آخـــر في الأسرة بالسحر ، وذلك باستخدام سحر التسليط الذي يؤدّي في أغلبه إلى إزهاق الأرواح ، وبقاء أفراد الأسرة في دوامة المرض الاجتماعي ، وكان المستهدف أخوها الذي يصغرها بسحر التسليط ليقتل نفسه بإسقاطها من فوق شاهق ليرتطم رأسه بالجدار ، إلا أن شخصية الشاب عنادية ويفعل عكس ما يسمع ، وهنا يتضح بأن الأسرة كانت مستهدفة وإلحاق الأذى بأفرادها. فالأسرة تتكون من أربع بنات منهن ثلاث من حملة الدرجات العلمية العالية، ومن خمس شباب مهندسين وأطباء والأم والأب مستوى تعليمهم ابتدائي، وكذلك كانت الأخت الكبرى المتزوجة تعاني من المس نتيجة للسحر الذي تناولته قبل الزواج .

وبالتالي يتضح لنا مدى معاناة الأسرة التي تضررت بالسحر نفسيا واجتماعيا وصحيا الفتاة التقت بالمعالج في بيتها جلس معها وحاورها ، وتحاور مع الجن الذي يسكنها ، وتم إخراجه ، وطالب الفتاة باستمرار أخــذ العلاج الطبي للاكتئاب باعتبار أن خادم السحر استغل الضعف النفسي ، وعمل على تعزيز هذا المرض للقضاء عليها ولله الحمد

تم علاجها هي وأختها الكبرى وأخوها ، واستقرت الأسرة نفسيا واجتماعيا إلا أن الأمر لم يطل طويلا فقط لمدة ثلاث أشهر ليتم استهداف الفتاة مـرة أخري ؛ لأنها الحلقة الأضعف في أسرتها مع أنها محافظة عل الصلاة في أوقاتها، ومداومة على تلاوة القرآن ، إلا أنها هالة الطاقة الايجابية التي تحفظ الإنسان عندها ضعيف جدا، بعد ثلاثة أشهر شعرت الفتاة بأنها غير طبيعية ، خاصة بعد سقوطها بطريقة غريبة والتواء كاحلها ، وتم تجبيس قدمها ، ولكن لم تشف ، ومن هنا حدث المس من جديد سمعت بمعالج بالطاقة ، وهو طبيب يعـالج بالطاقة في مركز المسبار ؛ إذ يستخدم عصا مغناطيسيه ، ويقوم بتمريرها على الظهر مع تلاوة آيات السحر لكسر الطاقة السلبية ، وتدعيم الطاقة الإيجابية فجأة بدأت تتكلم بأنها لا تؤمن بالله ، كانت التنجية تم سحرها من جديد مما دعت الضرورة للعودة للمعالج الروحاني الذي عالجها بالقرآن، واستمر معها إلي أن تزوجت ، وخرجت من دائـــرة الاستهداف ، ومن هنا كان الدور المهني للأخصائي الاجتماعي جليا في تتبع الحالة في كل مراحلها سواء على مستوى الحالة الفردية باعتبارها نسق فرعي للأسرة ، أو كمستوى الأسرة كنسق كلي للفرد ، وهي الأساس الذي يقدم من خلاله الدعم الاجتماعي والتوجيه إلى الجهات المعنيه لتلقي العلاج النفسي والطبي، ووعي الأسرة بمخاطر السحر والعمل على عدم الانقياد للانتقام بمن فعل بهم هذا ، واستخدام الأسلوب عينه في الانتقام .

ومن خـــلال ما سبق ذكره كحالة اجتماعية تدرس بمنهجيه ، وعـــدم انكار تواجد السحر في واقعنا الاجتماعي ، وانتشاره في المجتمع الليبي .

من خلال محاورتي مع المعالج وتتبعي للحالة، بأن هناك أنـــواع من المعالجين إذا يشترط أن يكون للمعالج جانب روحاني ليتمكن من علاج الحالة نهائيا، أما المعالج وليس لديه جانب روحاني قد يسبب أحيانا في موت الحالة المعالج لها، هذا جانب كما أن المعالج الروحاني أنواع منهم من توارث الجانب الروحاني ، ومنهم من حاول الجانب الروحاني التواصل مع المعالج، ومنهم من استحضر هذا الجانب باستخدام عُقد.

الشقين الأولين إذا كان الجانب الروحاني مسلم ، فهو يعالج الحالة غالبا بماء الزهر ، وماء الـــورد ، والمسك ، وزيت الزهـــر ، والسدر ، واللبان المر ، والجاوي الأبيض ، مع استخدام الرقية.

أما الشق الثالث يقدم العلاج باستخدام السحر السفلي بالسفلي، أي : باستخدام أشياء فيها نجاسة ، وأنـــواع الجاوي الأحمر الأسود ، وغيرها ، وما ذكر حقيقة موجودة ، فهي أفعال تمارس لاستحضار الجان الخادم .

دور الخدمـــــة الاجتماعية في التعامـــل مع الســـحر والشعوذة :

باعتبار أن السحر والشعوذة من المشـــكلات التي يعاني منها الفرد والأسرة، وما يترتب عليه تفكك اجتماعي وزرع الفرقة والفتن بين أفراد الأسرة ، ولهذا فإن لمهنة الخدمة الاجتماعية دور فعال في التعامل مع هذه الممارسات التي لا تمت للدّين، ودور الخدمة الاجتماعية يكمن في الآتـــي:

1- نشر الوعي الثقافي على خطورة انتشار السحر والشعوذة والتي تمثل تهديد لحياة الفرد والأسرة.
2- العمل على تحريض وتحفيز المجتمع لاتخاذ التدابير من أجل التعامل والحد من ممارسة السحر والشعوذة.
3- تتبع الحالات التي وقعت في شرك السحر والشعوذة بحرفية ومهنية لاعتبارات في التداخلات النفسية والاجتماعية.
4- تعزيز الوازع الديني وأهمية تدعيم القيم الدينية في المجتمع.
5- تدعيم البرامج التنمية البشرية والاعتماد على الذات لمنع انتشار السحر والشعوذة لما يعتبره البعض وسيلة لتحقيق النجاح والحصول على السلطة.
6- وضع برامج واليات للحد من انتشار السحر والشعوذة في المجتمع.
7- توعية الأسرة بأهمية التنشئة الصحيحة للفرد ونشر الوعي الثقافي بخطورة التعامل مع ممارسين السحر، والعمل على تعزيز الذات وبذل الجهد والمثابرة لتحقيق النجاح والثقة في النفس .

الخاتمـــــــــــة :

وفيها أهم النتائـــج التي توصلت اليها الدارسة، وتتمثل في الآتـــي:

1- عدم الثقة في النفس طريق إلى ممارسة واستخدام السحر والشعوذة .
2- السحر والعين لا يمكن اغفالهما لأنه تم ذكرهما في القرآن الكريم.
3- ضرورة وضع البرامـــج التثقيفية لنشر الوعي بين أفراد المجتمع بخطورة ممارسة السحر والشعوذة ، والالتجاء إليه لتحقيق الأهداف.
4- العديد من الأمراض النفسية والصحية ذات أبعاد مرتبطة بالسحر والشعوذة.
5- ممارسة السحر والشعوذة منتشرة في المجتمع الليبي والمجتمعات العربية وغيرها ولها ممارسات خاصة بها.
6- متوارث سلبية في المجتمع الليبي وعلى المثال منها : التصفيح.

7- العديد من المشكلات الاجتماعية والأسريـــة لها أبعادها في الجوانب السحر والعين وغيرها .

8- من خلال دارسة الحالة اتضح بأن أساس مشكلتها النفسية والصحية متعلق بالسحر والشعوذة.

الهوامـــش :

1- السحر والشعوذة، موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية، محمد راتب النابلسي.
2- http://googleads.g.doubleclick.net
3- https://www.adexchangeguru.com/a/display.php
4- الاعياء والانفعالات المصاحبه له في طقوس الزار بولاية الخرطـــوم السودان وعلاقتهما بالترويح النفسي : آمال النور حامد، رسالة ماجستير غير منشورة، طرابلس ، 1996م .
5- علم السحر بين المسلمين واهل الكتاب ، احمد حجازي السقا. مكتبة الثقافة الدينية ، 1989.
6- السحر وخطره،: يحي بن موسي الزهراني.
7- http://www.nabulsi.com/blue/ar/fatawa.php
8- الدين والطقوس والتعبيرات : نور الدين الطوبي ، 1988، بيروت ، عويدات.
9- http://media.emaratalyoum.com/images/polopoly-inline images/2014/02/973392%20(4).jpg
10- السحر والشعوذة : على أحمد سالم واخرون، 2010 ، ليبيا: الشؤون الاجتماعية